

## ثانياً- مفهوم النظرية :

قد يكون ضرورة في الحديث عن مفهوم نظرية الاستقبال أن نؤكد أن الفكر النقدي الحديث في المجتمع الغربي ليس فكراً خالصاً للأدب، بل تتداخل في مفاهيمه الجوانب الأدبية والمنازع الفكرية والمذهبية بصورة معقدة، يصعب معها أن تتعامل مع الرؤية أو النظرية النقدية بمنظور أدبي مجرد عن بواعثه ونزعاته الفكرية المعاصرة. فمسألة الفصل بين المذاهب الفكرية أو السياسية والتمذهب الأدبي مسألة غير مقبولة في التعامل مع نظريات الأدب الغربي اليوم. ومن باب الغفلة أو سوء النية أن تتسلل إلينا مذاهبهم الفكرية تحت ألقاب الأدب والنقد. ومهما كانت فطنة الناقد في التعامل مع النتاج الأدبي فقد يتعذر عليه أن يفصل - مثلاً - بين الماركسية وأدبها، أو بين العلمانية ونماذجها الأدبية، أو بين الوجودية وفلسفتها النقدية، فالحديث عن تلك المذاهب النقدية بشكل مجرد ضرب من المغالطة المتصودة، أو المراوغة المستهدفة للترويج الفكري تحت شعار الأدب، فقد صار الأدب من أخطر قنوات البث المذهبي على مستوى العالم.

وتتميز نظرية الاستقبال عن غيرها في أن مفهومها السياسي والفكري الذي صاحبها منذ نشأتها لا يدعو - عندنا - إلى شيء من الحذر أو التحفظ؛ لأن هذا المفهوم ارتبط بالصراع الذي واجهته ألمانيا الغربية مع النظام الماركسي، ولهذا كانت المعسكرات الماركسية وخاصة في ألمانيا الشرقية من أشد المعارضين لهذه النظرية<sup>(١)</sup>، بل وجهوا إليها كثيراً من المطاعن والمآخذ في حوار طويل، ومناقشات حادة بين رواد المدرستين الشرقية والغربية، حتى اتهم كل فريق صاحبه بالخطأ في تصوره لعملية التلقى. فرواد نظرية الاستقبال يلقون على الماركسية تبعاً للأزمة التي حدثت في الأدب بعامه، وفي انحراف القارئ فكرياً في تعامله مع النص بصفة خاصة. ونقاد ألمانيا الشرقية يصفون نظرية الاستقبال بأنها محاولة «برجوازية»<sup>(٢)</sup> تدل على إفلاس روادها في إيجاد البدائل للمعالجة الماركسية<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ الأدب الألماني ص ٢٢٤، ٢٢٨ - كورت روثمان - ترجمة سليمان عواد

(٢) انظر مفهوم الرجوعية الحديث في (دائرة المعارف البريطانية) مجلد ٢ ص ٤٢٨ ط ١٥ - ١٩٩٠.

(٣) نظرية الاستقبال ص ١٤٤.

